ثقافة

كاتب من العالم

أن يجسّد الأدب حياة ونضالات المهمّشين

بنيامين صاحب «أيّام الماعز»

«يتولّى عملي مهمّة سرد قصص الناس الذين دُفعوا إلى الظل، والمُهمَّشين الذين لا تُسمع أصواتهم»، يقول الروائي الهندي المقيم في ولاية كيرلا الهندية لـ«العربي الجديد»

لندن ـ العربي الجديد

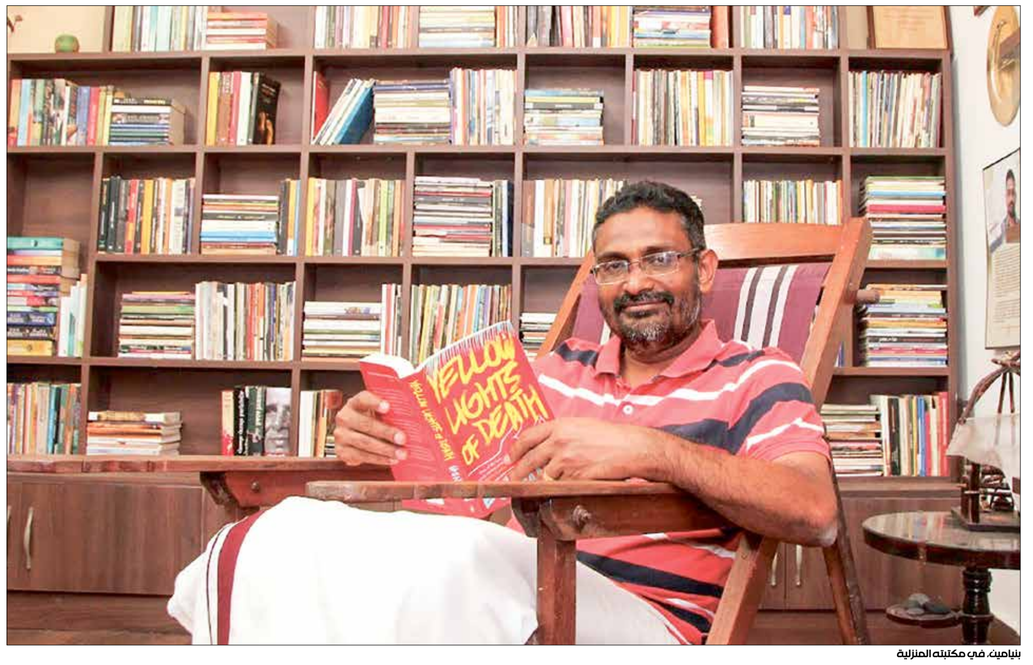

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

أعيش في مكان يتّصف مشهده الأدبي بالحيوية والازدهار. أنا مُقيم في ولاية كيرلا، أقصى جنوب الهند، حيث المالايالامية هي اللغة المحكيّة. في كلّ عام، تُنشر بعض أفضل الروايات، إلى جانب الكثير من الترجمات من مختلف لُغات العالَم، كما تُقام العديد من المهرجانات الأدبية والفعاليات الثقافية والمناقشات التي تجتذب آلاف المُشاركين والمشارِكات الشباب. يحظى الكُتّاب باحترام كبير في مجتمعنا، وكلماتهم موضع تقدير كبير. الأدب يزدهر هنا.

■ كيف تقدّم عملك لقارئ جديد، وبأي كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، نشرتُ أكثر من ثلاثين كتاباً، بما في ذلك الروايات والقصص القصيرة والمقالات وقصص الرحلات؛ من بينها جميعاً حظيت رواية «أيّام الماعز» بالنصيب الأكبر من الشهرة، وتُرجمت إلى قرابة خمس عشرة لغة، بما في ذلك الإنكليزية والعربية. أُوصي بالبدء بهذا الكتاب.

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

حالياً، يُقلِقني التدقيق الاجتماعي والانتقادات اللاذعة في الدول العربية بخصوص الفيلم المُقتبَس عن روايتي «أيّام الماعز». بعض النقّاد زعموا أنّ العمل دعاية ضدّ المملكة العربية السعودية، لكن ذلك ليس صحيحاً. تُركّز الرواية والفيلم على هجرة الأيدي العاملة وسعيها للبقاء على قيد الحياة، وهي قضايا تحدث في كلّ مكان عمل حول العالَم. أتمنّى أن يفهمها المُشاهدون من هذا المنظور.

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنى تغييره فيها؟

منطقتنا معروفة بتناغمها الديني الكبير، فضلاً عن الأنشطة الأدبية والثقافية النابضة بالحياة. أنا فخور بأنه على الرغم من أن المجتمعات الهندوسية والمسيحية والمسلمة تعيش بعضها بجوار بعض، إلّا أنه لا يوجد حتى واحد بالمئة من الصراع الديني هنا. مع ذلك، ما يُزعجني هو أنّ هذا المجتمع ما زال متمسّكاً بالعديد من القيم الأبوية التي عفّى عليها الزمن، والتي ينبغي أن نبتعد عنها.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

بدأتُ الكتابة متأخّراً نسبياً، في الثلاثينيات من عمري. لقد درستُ الهندسة وعملتُ في هذا المجال لمدّة عشرين عاماً. لو قُيّض لي البدء من جديد، لاخترتُ استكشاف اللغة والأدب، والبدء بالكتابة في وقت أبكر بكثير.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

إنني أشعر بقلق بالغ إزاء صُعود العنصرية والتطرُّف الديني في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الهند. ويُحزنني أنّ البشرية، بعد كلّ هذا الوقت، لم تتعلّم من ماضيها. أتُوق إلى عالم يمكن لجميع الناس أن يعيشوا بسعادة فيه، وأن يحافظوا على معتقداتهم الخاصة.

بنيامين، في مكتبته المنزلية

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أودّ أن أُقابل الكاتب اليوناني العظيم نيكوس كازانتزاكيس. لقد أثّرت كتاباته ورؤاه الروحية بشكل كبير فيّ. مؤلّفاته «الإغواء الأخير للمسيح»، و«زوربا اليوناني»، و«تقرير إلى غريكو» جميعها عزيزة جدّاً على قلبي.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

كثيراً ما تُحاول قوى الدين والسلطة والمال قمع حرية التعبير؛ وهي سريعة الشعور بالإهانة، بل إنها على استعداد لمواجهة الكُتّاب بشكل علني. واليوم، كلّما وضعت كاتبةٌ القلم على الورقة، انتابها خوف من إيذاء مشاعر شخص أو جهة ما. مع ذلك، فإنّ ما يمنحني الأمل هو وفرة الكتابات الشجاعة التي تصدر من مختلف أنحاء العالَم.

■ ما هي قضيتك وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

هناك سؤال مهمّ في الكتاب المقدّس: «أين أخوك؟»، هذا هو السؤال الذي أُحاول الإجابة عنه في كتابتي. يتولّى عملي مهمّة سرد قصص الأناس الذين دُفعوا إلى الظل، والمُهمَّشين الذين لا تُسمع أصواتهم. إن السؤالَين اللذين يُحيِّراني باستمرار هما: لماذا نفشل في التعلّم من التاريخ، وما هو نوع الجشَع الذي يدفع البشرية في هذه الحياة القصيرة؟

> يُحزنني أن البشرية، بعد كل هذا الوقت، لم تتعلّم من ماضيها
>
> ما يمنحني الأمل هو وفرة الكِتابات الشجاعة في العالَم

■ الأدب العالمي يكتبه المترجمون، إلى أي درجة توافق على هذه المقولة وإلى أي درجة كتبك المترجمون؟

أتّفق تماماً. لا يُمكن للمرء إلّا أن يتخيّل مدى جفاف لغتنا وتجربة القراءة لدينا بدون الكتب المترجَمة. مساهمة الأعمال المترجمة في التطوّر الأدبي للمالايالامية هائلة. لقد تُرجمت أغلب الأعمال العظيمة في العالم إلى هذه اللغة الصغيرة، وهذا الجهد يستمرّ إلى يومنا هذا. على الرغم من وجود أعمال أصلية ذات مستوى عالمي باللغة المالايالامية، إلّا أن الترجمات تستمرّ في إثراء أدبنا.

■ كيف تصف علاقتك مع اللغة التي تكتب فيها؟

أنا أكتب بلُغة أحلامي، ما يمنح كتابتي صلة بيولوجية. أنا لستُ طالباً جامعيّاً في اللغة أو الأدب؛ اكتسبتُ مهاراتي اللغوية من خلال الحياة اليومية والقراءة. على الرغم من أنني أستطيع إدارة الأمور باللغتين الإنكليزية والهندية، إلا أنّ هاتين اللغتين ليستا لغتَي طفولتي أو مراهقتي، لذا لا ترتبطان بأحلامي أو مخيّلتي. المالايالامية هي اللغة التي توقظ مخيّلتي حقّاً.

■ كاتب منسي من لغتك تودّ أن يقرأه العالم؟

بالتأكيد، هو فايكم محمد بشير. ورغم أن أعماله تُرجمت إلى العديد من اللغات، إلّا أنني أتمنّى أن يقرأ العالَم المزيد عنه.

■ لو بقي إنتاجك بعد 1000 سنة، كيف تحب أن تكون صورتك عند قرّائك؟

أُريد أن أرى نفسي كاتباً يُجسّد حياة وتجارب وأحزان ونضالات الأشخاص العاديّين جدّاً في أدبه. أعتقد أن هذه المشاعر تجد صدىً لدى الناس في أي مجتمع وفي أي وقت.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك اليوم؟

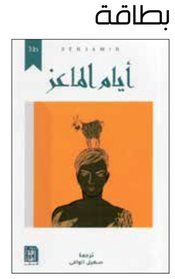

لقد أمضيتُ واحداً وعشرين عاماً أعيش في الأراضي العربية، لذا فإنني أُكِنّ تقديراً عميقاً لهذه الثقافة. أُحاول من خلال قصصي تسليط الضوء على التجارب الحزينة للأشخاص الذين يبحثون عن عمل هناك. أعتقد أنّ الأدب مرآةٌ تُجسِّد جميع جوانب المجتمع، لذلك أُشجّع القرّاء على التعامل معه من هذا المنظور.

بطاقة

بيني دانيال، كاتب وروائي هندي يُعرَف باسمه الأدبي «بنيامين»، من مواليد كولانادا في ولاية كيرلا عام 1971، عاش في البحرين واحداً وعشرين عاماً. حصلت روايته «أيّام الماعز» (2008)، على «جائزة الأكاديمية الأدبية» في كيرلا، وأصبحت جزءاً من المنهج في عدد من الجامعات، وحُوّلت مؤخّراً إلى فيلم. من رواياته: «أيام الياسمين» (2014)، و«مصنع الروايات العربية» (2014)، وفيهما يستكشف خلفيّة ثورات الربيع العربي.

تشكيل

«زين» لحسان زهر الدين رسْمٌ عبر الممحاة

عينا طفل تحدّقان في بؤس العالَم

النَّظر في البورتريهات التي رسمَها التشكيلي اللبناني، وصدرت حديثاً في كتيّب من ثلاثين صفحة، هو تحديقٌ في أحوال العمّال والطفولة المعذَّبة

بيروت ـ أنس الأسعد

ليس زين وحيداً فهُناك والده العامل في المطبعة (من رسومات الكُتيّب)

في تموز/ يوليو الماضي أقام التشكيلي والمصمِّم اللبناني حسان زهر الدين (1969)، معرضه «حَفْر»، الذي ضمّ ثماني وثلاثين لوحة أُنجزت خلال العامين الماضيَين، ومن ضمن نشاطات المعرض أطلق الفنّان كُتيّباً من ثلاثين صفحة بعنوان «زين»، صدر عن «Art Design Lebanon»، وفيه يعرض مجموعة بورتريهات ورسومات مطبوعة بالأبيض والأسود، مُرفقة بنَصّ كتبَه حول حكاية طفل يعمل في إحدى المطابع.

على بساطته وعفويته، يجمع نصُّ الحكاية أبعاداً عديدة، فمن جهة يروي لنا رحلة الطفل «زين» في تعلُّم العربية، ومن أُخرى، يُضيء العمَلَ في المطبعة وما يتطلّبه من جهد معرفي، حيث يُحاول زين فكّ أسرار الحروف، وفَهْم تنظيم القِطع داخل الآلة بشكل مقلوب كي تستقبلها الأوراق وتُظهرها بالطريقة الصحيحة. وبكلمات مُوجَزة يروي زهر الدين قصة عمَالة الأطفال، ومعنى أن تُولدَ لتكون عاملاً. خلال كلّ ذلك، نشعر وكأن البورتريهات منحوتة من كتلة العتمة ذاتها، لا مرسومة على الورقة البيضاء، وكأنه رسمٌ عبر الممحاة التي تشقّ طريقاً من خُطوط بيضاء في الصفحة. يقترب وجه الطفل أحياناً من الورقة فيشعّ منهما نورٌ، لكنّ كتلة العتمة تظلّ محافظة على الإطار العامّ.

زين ليس وحيداً في رحلته، هناك والدُه الذي اصطحبه أولاً إلى المطبعة، وكذلك العائلة والعُمّال، كُلّهم وجوه تتكدّس في الظلام وتنبثق منه في صمتٍ مُطبِق لا يُخلخله سوى شيء واحد «الإضراب»، الذي يقلب هدوء الحكاية القصيرة، ويُعيرها ثوباً لا يخلو من تمرّد اجتماعي، وملاحقات بوليسية للعمّال المُضربين: «قضى ساعةً يُقلّب كلام الورقة، استطاع أن يقرأ أول كلمة (إضراب)، خفقات قلبه كانت تتعاظم مع كلّ كلمة يقرأها، جملةً جملةً وسطراً سطراً، ثم إلى آخر حرف في الورقة».

> يبني على تجربته السابقة بتقديم رسومات لكتُب الأطفال

تحتاج الوجوه التي رسمها حسان زهر الدين تحديقاً من نوعٍ خاص حتى نُميِّز ملامحها، تتّسع فيه الحدقة - إنسانيّاً - إلى أبعد مدى، فليست عتمة الألوان وحدها ما تحجب ذلك، بل الخلفيّات الاجتماعية القادمة منها تلك الوجوه، إنّه إجهاد العمّال، الأطفال منهم والكبار، في حياتهم اليومية التي تُطوِّقها الأُمِّية ومحاولات محوها، والسعي من أجل عَيش كريم. وفي الصفحة الأخيرة يكشف زهر الدين أنّ الحكاية هي حكاية والده الذي خرج إلى العمل بإحدى المطابع حين كان في سنّ التاسعة، بعدما هاجرت عائلته من الريف إلى بيروت، وهناك سيتعلّم «مصلحة» الطباعة التي ستتحوّل على يد أحد أبنائه إلى فنّ.

للوهلة الأولى، تبدو حكاية «زين» المُقدَّمة بإطار طُفولي أنّها امتداد لتجربة زهر الدين مع كتب الأطفال التي وقّع رسوماتها مثل «حكاية ترويها الخيوط» لنبيهة محيدلي، و«كيف أصبحتُ أصفرَ اللون» لعبير مزهر، و«لستُ لصّاً» لحسن عبد الله، و«سما» لنادين توما، وغيرها، لكنّ الجمهور هُنا ليس من الأطفال، كما أنّ تقنية إنجاز البورتريهات وموضوعها من الأدقّ القول عنها إنّها تحديق في بؤس العالَم بعينَي طفل.

إضاءة

فَرضتْ علاقات حديثة ووعياً إيكولوجيّاً

حصان إبليس... الدرّاجة الأدبية

للعرب واقعتَان أليمتَان سببُهما الدرّاجة الهوائية التي أنهت حياة أديبَين بارزَين: اللبناني أمين الريحاني، والشاعر العراقي عبد الأمير جرص

مزوار الإدريسي

الدرَّاجة الهوائية اختراع حديث يعمل بالطاقة البشرية المحرِّكة لعَجلتَي الآلة، وقد ابتُكِرتْ أواخرَ العَقد الثاني من القرن التاسع عشر، على يد الألماني كارل درايس، وتحوَّلت من لعبةٍ للصغار إلى وسيلة تنقُّل يستعملها الكبار، وعرَفت انتشاراً بين أبناء الطبقة الراقية من المجتمع الأوروبي، ويُروَّج بإلحاح في العقود الأخيرة لاستعمالها - خصوصاً داخل المدن - لكونها صديقة للطبيعة. وتحوَّلت هذه الآلة البسيطة والعجيبة، مع مرور الوقت، إلى موضوع للكتابة، بحيث لم يَكتفِ الكُتّاب بإفرادهم نصّاً أو نصّين لها، بل خصَّها بعضهم بكُتُب برُمَّتها، نظراً لمكانتها في حياتهم ولمتانة العلاقة التي عقَدها بعضهم معها.

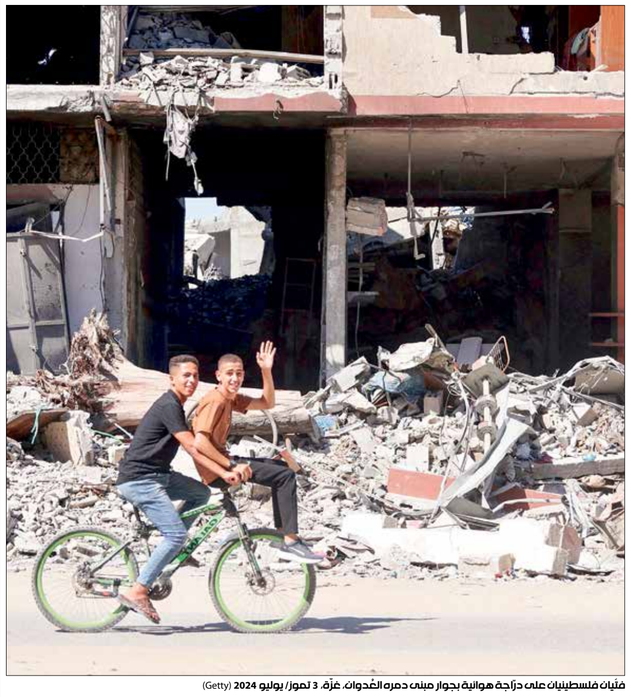

أطلق المغاربة على الدرّاجة الهوائية التي جلبها الاستعمار اسماً استعاريّاً: هو «حصان إبليس»، وانتشر استعمالها لديهم أيضاً، بل إنها فَرضتْ في المجتمع العربي، شأن المجتمع الغربي، علاقات إنسانية حديثة، ووعياً إيكولوجيّاً، ولباساً جريئاً تَكامَل مع التحوُّلات التي عرفَها مجتمعُهم، خصوصاً ما يتعلَّق بواقع المرأة العربية في المدن الكبرى.

وعلى الرغم من التوافر المُبكّر للدّراجة الهوائية في العالَم العربي، فإنّ اتّخاذها موضوعاً للكتابة يكاد ينعدم، مع أنّ استعمالها كان متداوَلاً بين مختلف فئات الشعب، وهو أمرٌ غريب إذا ما قارنّا حال هذه الآلة بما عرفته في الغرب، حيث احتُفي بها كثيراً من قِبل الأدباء والعلماء وسائر طبقات المجتمع، ونكاد في بلادنا العربية لا نجد أعمالاً أدبية تحمل اسم آلة التنقّل هذه، ففي المغرب، مثلاً، هناك عمَلٌ بعنوان «التركي: الرجل الذي طار بالدرّاجة»، للروائي محمد أنقار، وهو سيرة غيرية لأسطورة الدرّاجة القومية، الحاج أحمد هروش المعدني الشهير بالتُّرْكي، أشهر درَّاج في تاريخ الرياضة بالمغرب.

وهُناك عمل مغربي آخَر، صدر للشاعرة المغربية عائشة بلحاج عنوانُه «على جناح درّاجة: من طنجة إلى باريس» يُوحي للوهلة الأُولى بتجربة رحلة استثنائية لامرأة مغامِرة، تمتطي درّاجة هوائية في رحلة من قارّة إلى أُخرى، ومن مدينة أُسطورية إلى نظيرتها في الأسطورية أيضاً، راصِدة المختلف، ومُقدِّمة المُدهش اجتماعياً وعمرانياً وطبيعياً وذهنياً وغيرها بكتابة جريئة. لكنْ يبدو أنّ الشاعرة عائشة بلحاج قد اختارتْ، هذه المرّة، لمؤلَّفِها قضايا ثقافية وفكرية وجمالية وغيرها، وأنها تركتِ الدرّاجة الهوائية جانباً.

لكنّ للعرب واقِعتَين أليمَتَين سببُهما «حصان إبليس» الجامح، الذي أنهى حياة أديبَين بارزَين، الأوّل هو أمين الريحاني ابن بلدة الفريكة في لبنان، الذي كان يُقيم في نيويورك، والذي اشتُهر عند تردُّده على بلده الأصلي بتَجواله في بلدته، خائضاً عبر طرقها الجبلية، وهو يمتطي درّاجته الهوائية، وحدث بعد عودته إلى الفريكة من رحلة إلى المغرب الأقصى وإسبانيا، أن تعرَّض، يوم الثالث عشر من أيلول/ سبتمبر 1940، لسقطة من فوق درّاجته، فرحَل على أثرها، ولمّا يتجاوز الرابعة والستين عاماً، ليُدفَن في بلدته، بعد أن أغنى المكتبة العربية بأعمال لافتة.

> أطلق المغاربة عليها اسماً استعاريّاً: «حصان إبليس»

وأما الأديب الثاني فهو الشاعر العراقي عبد الأمير جرص (بغداد 1965 - إدمينتون/ كندا 2003)، الصوت الشعري الاستثنائي الذي كان يَعِدُ بالكثير، حتى عُدَّ أبرز شاعر عراقي في العَقدَين الأخيرَين من القرن العشرين، اعتباراً للتحوُّلات التي عرفتها تجربته المعيشية والإبداعية، ولِمَا طبَعها من أصالة وتجديد؛ ولقد صدرت أعمالُه الشعرية الكاملة «حتّى وإن متُّ» بعناية الشاعر نجوان درويش، عن «دار الفيل» في القدس المحتلّة، عام 2017، لتليها مؤخراً طبعة خاصة بالعراق مشتركة بين دار الفيل ودار سُطور. عاش عبد الأمير جرص تجربة انتقالية منفىً مؤقَّتاً في الأردن، ودَخل بعدها تجربة الاغتراب في منفى اضطراريّ هو كندا، لقد خرج جرص ذات يوم في جولة بمنفاه بإدمينتون، على متن درّاجته، وإذا به يرحل إلى الأبدية بعد سقطة مُميتة هو الآخر.

بهاتَين التجربتَين الإنسانيتَين تحوّلت النُّزهة على متن الدّراجة، التي عُدَّتْ دوماً من أرْوع مُتَع الدنيا، إلى مأساة إنسانية حقيقية، لأنها اختطفت من فضاء الإبداع قلَمَين يشهد لهُما النقد الأدبي بالإضافة والتميُّز في مجال الكتابة.

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

فتَيان فلسطينيان على درّاجة هوائية بجوار مبنى دمره العُدوان، غزّة، 3 تموز/ يوليو 2024 (Getty)

فعاليات

مواسم التين والأنبياء: فلسطين كما رآها المستشرق الألماني غوستاف دالمان، عنوان حوارية يُنظّمها «مركز خليل السكاكيني الثقافي» في رام الله عند السادسة من مساء اليوم، بمشاركة الباحثين **سليم تماري** و**حمزة عقرباوي**، و**محمد أبو زيد** مترجم موسوعة دالمان التي صدرت عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات».

تستضيف كلّية الدراسات الإسلامية في «جامعة حمد بن خليفة» بالدوحة عند السابعة من مساء الأربعاء المقبل أمينَ قسم جنوب آسيا في «متحف الفنّ الإسلامي» بالعاصمة القطرية **تارا ديجاردِن** (الصورة)، في محاضرة بعنوان **الزجاج المغولي: تاريخ صناعة الزجاج في الهند**، تُضيء تطوّر هذه الصناعة، وأثر التجارة البحرية عليها، وعلاقتها بالاستهلاك الاستعماري في الهند.

تُقام عند الخامسة من مساء بعد غدٍ الجمعة، في فرع «جامعة القديس يوسف» بطرابلس اللبنانية، ندوة وإطلاق كتاب **حكايا لبنانية في الأزمة**، من إعداد **جودي الأسمر** (الصورة)، و**مايا مسيكة** من تجمّع «فيحاؤنا». يضمّ الكتاب 15 قصة قصيرة لكتّاب لبنانيين، تعكس التحدّيات التي مرّ بها لبنان منذ خريف عام 2019.

تُعرض عند الثامنة والنصف من مساء غدٍ الخميس في «مكتبة الإسكندرية» مسرحية **الحَبْل** للمخرج المصري **مصطفى كرم**. يتناول العرض، المقتبس عن نصّ للكاتب الأميركي **يوجين أونيل** (1888 - 1952)، حياة أُسرة مُفكَّكة تسود الكراهية بين أفرادها بسبب تنشئتهم على تقاليد متعسّفة وأهواء شخصية فرضها الأب.